موقف شريف مكة تجاه الفرنسيين في مصر
١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨ -١٨٠١م

د/حسام محمد عبدالمعطى

أستاذ مشارك – كلية الآداب

جامعة قطر

موقف شريف مكة تجاه الفرنسيين في مصر

١٢١٣-١٢١٦هـ/ ١٧٩٨ -١٨٠١م

د/حسام محمد عبد المعطي(*)

الملخص

تشكل العلاقات التي نشأت بين الفرنسيين في مصر ، والشريف غالب بن مساعد حاكم الحجاز ، واحدة من العلاقات الناجحة التي نجح الفرنسيون في تكوينها خلال وجودهم القصير في مصر ، وعلى الرغم من تعدد الدراسات حول الاحتلال الفرنسي لمصر ، تسعي هذه الدراسة لمحاولة فهم دوافع نابليون بونابرت لتكوين علاقة مع شريف مكة ، وموقف شريف مكة من الرسائل الفرنسية ، وموقف الدولة العثمانية وبريطانيا من التقارب بين الفرنسيين وشريف مكة ، خاصة مع المحاولات البريطانية الكبيرة لحصار الفرنسيين في مصر من أجل إجبارهم على الاستسلام والرحيل عنها ، وتبدو أهمية موقف الشريف غالب أكثر أهمية عندما ندرك أنه كان الحاكم الوحيد من بين ولاة وحكام الدولة العثمانية الذي قبل بإقامة علاقات مع الفرنسيين في مصر ، مخالفاً بذلك المواقف الرسمية التي اتخذتها الدولة العثمانية .

Abstract:

The relations between the French in Egypt and the Sharif Ghaleb bin Musaed, the ruler of Hijaz, constitute one of the successful relations that the French managed to establish during their short stay in Egypt.In spite of the numerous studies on the French occupation of Egypt, this study attempts to understand the motives of Napoleon Bonaparte to establisharelation with the Sharif of Mecca, the attitude of the Sharif of Mecca toward French letters, and the attitude of the

(*) أستاذ مشارك – كلية الآداب – جامعة قطر

Ottoman State and Britain toward the friendly relations between the French and the Sharif of Mecca, especially with the great British attempts to besiege the French in Egypt in order to force them to surrender and leave.The significance of the Sharif's attitude seems more important when we realize that he was the only ruler among the governors and rulers of the Ottoman Empire who accepted the establishment of relations with the French in Egypt, contradicting the official positions taken by the Ottoman Empire.

شكلت الحملة الفرنسية على مصر منعطفاً كبيراً في تاريخ مصر[١] فقد أثرت الحملة تأثيراً عميقاً في التغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية في مصر ، بل كان لها تأثيرها البالغ في تاريخ المنطقة العربية كلها بشكل عام ، وكانت عاملاً فعالاً في القضاء على نفوذ المماليك وفتح المجال أمام محمد علي لكي يؤسس دولة مصر الحديثة ، وتشكل العلاقات التي نشأت بين الفرنسيين في مصر ، والشريف غالب بن مساعد حاكم الحجاز ، واحدة من العلاقات الناجحة التي نجح الفرنسيون في تكوينها خلال وجودهم القصير في مصر ، وعلى الرغم من تعدد الدراسات حول الاحتلال الفرنسي لمصر ، فإن تلك الدراسات أبرزت الاحتلال بأنه صراع فرنسي إنجليزي في المنطقة العربية الواقعة على الطريق بين أوروبا ومستعمراتها في الهند ، ولم تعط تلك الدراسات بعداً كبيراً للتحالفات السياسية التي سعي قادة الحملة في مصر لإقامتها خاصة مع محيطها الإقليمي سواء في ذلك شريف مكة وإمام اليمن ، وسلطان مسقط ، أو سلطان دار فوار ، وموقف إنجلترا من سعي قادة الحملة في مصر من تلك المحاولات ، وتسعي هذه الدراسة لمحاولة فهم دوافع نابليون بونابرت لتكوين علاقة مع شريف مكة ، وموقف شريف مكة من الرسائل الفرنسية ، وموقف الدولة العثمانية وبريطانيا من التقارب بين الفرنسيين وشريف مكة ، خاصة مع المحاولات البريطانية الكبيرة لحصار الفرنسيين في مصر من أجل إجبارهم على الاستسلام والرحيل عنها ، وتبدو أهمية موقف الشريف غالب أكثر أهمية عندما ندرك أنه كان الحاكم الوحيد من بين الولاة والحكام في الدولة العثمانية الذي قبل بإقامة علاقات مع الفرنسيين في مصر ، مخالفًا بذلك المواقف الرسمية التي أتخذها الولاة والحكام في أغلب ولايات الدولة العثمانية[٢] ، وتحليل كيف أن هذه المواقف المرنة التي اتخذها الشريف غالب من الفرنسيين في مصر كانت نتاج العديد من العوامل التي أحاطت بإمارته ، ويقتضي تحليل موقف الشريف غالب من الفرنسيين في مصر التعرض لتطور أوضاع الحجاز في الفترة التي سبقت وصول الحملة الفرنسية على مصر من أجل فهم موقف الشريف غالب .

فقد كان الشريف غالب بن مساعد قد خلف أخاه الشريف سرور في حكم الحجاز سنة ١٢٠٢ هـ/ ١٧٨٧م[٣] ، وما كاد يستقر في الإمارة حتى كان آل سعود قد استطاعوا توحيد إقليم نجد في وحدة سياسية واحدة ، وبإتمامهم هذا العمل أصبح على آل سعود توجيه جهودهم الحربية إلى ميادين أخرى خارج حدود نجد ، وأمام الانتصارات التي راح يحققها آل سعود في الإحساء ، وفي أنحاء شبه الجزيرة العربية أدرك الشريف غالب ضرورة التحرك عسكرياً ضدهم وإلا فسوف يبتلعون إماراته ، فأعلن الشريف الحرب عليهم في سنة ١٢٠٥ هـ/ ١٧٩٠ م ،

أولاً : حيث اندلع صراع عسكري عنيف بين السعوديين وقوات الشريف غالب ، وقد استمر هذا الصراع لمدة حوالي ثماني سنوات ، وقد شكلت الهزائم العسكرية المتوالية التي منيت بها قوات الشريف غالب خاصة في معركة الجمانية ، ثم الخرمة[٤] ، ضربات موجعة للشريف أفقدته عدداً كبيراً من قواته المحاربة التي عانت من سوء التنظيم ، بالإضافة إلى قلة المؤن والمعدات الحربية .

ثانياً : أدى عدم دفع أموال العربان ومخصصاتهم المالية من مصر على مدار الفترة التي تولي فيها الشريف غالب ، وبسبب توقف مراد بك وإبراهيم بك عن دفع مخصصات الحرمين الشريفين وإرسال الأموال والغلال المخصصة إلى العربان[٥] ، إلى تغير ولاء القبائل العربية ، ودفع تلك القبائل إلى تبني الأفكار والمبادئ الوهابية ، وهو ما أدى إلى انتشار الوهابية بين قبائل الحجاز ، فقد انضم إلى الدولة السعودية قبيلة عتيبة ، وقبيلة البقوم ، وقبيلة حرب ، التي كانت تشكل قوة سياسية وعسكرية للشريف غالب في الحجاز ، الأمر الذي ترتب عليه تقلص حدود السلطة السياسية للشريف غالب في الحجاز[٦] .

ثالثاً : سوء الأوضاع الاقتصادية في الحجاز نتيجة العمليات العسكرية والحربية مع السعوديين ، حيث قام السعوديون بتدمير وحرق عدد كبير من القرى والواحات التي كانت مصدر إيرادات الشريف المالية ، كما أن خضوع كثير من مناطق الحجاز

وقبائله للسعوديين ، قلص من الموارد المالية للشريف غالب ، حيث أصبحت هذه المناطق تدفع الزكاة والضرائب للسعوديين ، وإذا أضفنا إلى ذلك استيلاء القوات السعودية على جزء كبير من أموال الشريف غالب في معركة الخرمة ، سوف يتضح مدي التدهور المالي الذي أصابه ، حيث لم يعد لديه الأموال الكافية للقيام بعمليات حربية جديدة ضد السعوديين أو القبائل التي انفضت من حوله(٧) .

رابعاً : توقف البكوات في مصر عن إرسال مخصصات الحرمين الشريفين من الأموال النقدية ، وتوقف وصول غلال الحرمين ، وقد أثر ذلك بشكل سلبي على الموارد المالية للشريف غالب الذي حرم من أهم مصادر إمداده بالغلال والأموال ، وقد دفعه ذلك إلى الاعتماد بشكل أساسي إلى نشاط الحركة التجارية بين جدة والسويس ، وساعده فرار عدد كبير من تجار القاهرة ، وانتقالهم إلى جدة ، نتيجة تزايد الضرائب والمصادرة من جانب البكوات الحكام في القاهرة ، ساعده ذلك على انتعاش موارده المالية من حركة التجارة والضرائب المحصلة من التجار ، بل وقام بشراء عدد من المراكب حيث أصبحت مراكب الشريف تعمل في حركة التجارة بين جدة والسويس ، والقصير ، كما كانت سفنه تعمل في حركة التجارة بين ميناء مخا اليمني وجدة من أجل نقل البن ، وقد حقق الشريف من وراء ذلك ثروة كبيرة ، إلا أن ذلك أثر على علاقته بوالي جدة يوسف باشا ، حيث دار صراع بينهما على الموارد المالية لجمارك جدة ، حيث كان يتم اقتسام إيرادات الجمارك بين الشريف والوالي العثماني والحامية العسكرية العثمانية في جدة ، وقد أثر ذلك الصراع على موقف يوسف باشا من الحرب الدائرة بين السعوديين والشريف فلم يساند يوسف باشا الشريف أو يرسل مساعدات عسكرية أو مالية لمساندة الشريف(٨) ، بل على العكس من ذلك فقد أجريت مراسلات بينه وبين الأمير عبد العزيز بن سعود طالبه فيها يوسف باشا بإرسال مندوب من عنده إلى الباب العالي ، وقد أثر كل ذلك على موقف الشريف الذي أصبح محاطًا بالعديد من الأعداء في الوقت الذي كانت موارده المالية آخذة في التراجع .

وأياً كان الأمر فقد جعلت الهزائم المتكررة التي تعرض لها الشريف غالب جعلته يدرك - بما لا يقبل الشك- أنه لا يستطيع مواجهة السعوديين ، وأنه لا يستطيع بمفرده كسر الطوق الذي أحكم حوله إلا إذا مدت الدولة العثمانية يد المساعدة فأعانته حتى يتمكن من إعادة القبائل التي تمردت على سلطته وخرجت عن طاعته ودخلت في طاعة السعوديين . ولذلك فقد قام الشريف غالب في جمادي الأولي ١٢١٢هـ/ أكتوبر ١٧٩٧م بإرسال شيخ المطوفين أحمد تركي برسائل إلى الدولة العثمانية يطلب النجدات والمساعدات لأن قوة السعوديين في تزايد مستمر ، وأوضح أن خزانته قد نفدت منها الأموال نتيجة الحملات العسكرية التي يوجهها لمواجهة السعوديين ، وعمل التحصينات اللازمة لحماية الأراضي المقدسة ، ورغم ذلك فإن الباب العالي لم يكترث للأمر(٩) .

ولم تنته الأمور عند ذلك بل كان عام ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧ من السنوات الحرجة بالنسبة للشريف غالب في حروبه ضد السعوديين ، حيث لقيت قواته هزيمة قاسية في معركة الخرمة إلى الجنوب الشرقي للطائف ، وقتل من جيشه أكثر من ألف رجل بينهما عدد كبير من الأشراف ، واستولي السعوديون على خزائن الشريف غالب التي كانت بصحبته ، فعاد الشريف غالب إلى مكة يجر ذيول الخيبة والهزيمة الفادحة ، فوصلها في ٣ ذو القعدة ١٢١٢هـ/ ١٨ أبريل ١٧٨٩م ، وما كاد أن يستقر في مكة ليعد العدة إلى جولة أخرى ضد آل سعود ، حتى وصلت إليه أخبار احتلال الفرنسيين مصر في ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ أغسطس ١٧٩٨ م ، كما وصلت إليه أوامر من السلطان العثماني بتحصين قلاع جدة والمدن المقدسة تحسباً لأي هجوم فرنسي ، فأخذ الشريف في تحصين جدة ، وأشرف بنفسه على تحصين القلاع(١٠) ، وقد تسبب احتلال الفرنسيين لمصر في أزمة قوية للشريف غالب الذي وجد نفسه محروماً من أغلب الموارد الاقتصادية لإمارته بشكل مفاجئ ، فقد توقف وصول الموارد الغذائية الرئيسية للحجاز من مصر ، بالإضافة إلى المبالغ النقدية التي كان يتلقاها من الأوقاف

المصرية في كل عام[١١] ، كما توقفت قافلة الحج المصري ، وكانت أحد روافد الدخل المهمة لأمير مكة أيضاً[١٢] ، أضف إلى ذلك أيضاً توقف الحركة التجارية بين جدة والسويس التي كانت تمثل أهم مصادر الدخل الرئيسية للشريف حيث كان الشريف يحصل نصف الجمارك في جدة[١٣] ، كما أدرك الشريف غالب مدى الخطر المحدق به من جانب الفرنسيين خاصة أن أحد أهداف الحملة الرئيسية هي الوصول للهند[١٤] ، ومن ثم فلن يكون ذلك إلا عبر أراضيه .

وما كانت الدولة العثمانية تستطيع مد يد المساعدة للشريف في صراعه مع الوهابيين مع وجود الفرنسيين في مصر[١٥] . وأمام هذا الوضع العسكري الحرج والاقتصادي المتردي للشريف ، فقد أدرك أن عليه ضرورة عقد صلح مع آل سعود ، فعقد الشريف اتفاقاً مع السعوديين في جماد الأولى ١٢١٣هـ /أكتوبر ١٧٩٨م اعترف فيه بدولتهم ، وتم تحديد حدود فاصلة بينها وبين مناطق نفوذ وحدود دولته ، كما تم تحديد القبائل الموالية لكل جانب ، كما سمح بموجبه الشريف للسعوديين بالحج إلى المدن المقدسة[١٦] ، وهكذا فقد كان لوصول الحملة الفرنسية إلى مصر أثر كبير على القوى السياسية المتصارعة في شبه الجزيرة العربية التي رأت الاحتفاظ بقوتها لما تخبئه لها الأيام القادمة ، فقد تحدث تطورات جديدة تدفعه إلى استخدام هذه القوة .

وعلى الرغم من عقد الاتفاق فقد ظل آل سعود يراسلون زعماء القبائل الحجازية التي آمن أغلبها بالدعوة الوهابية ، وبالرغم من علم الشريف غالب بذلك إلا أنه اضطر آسفًا إلى كتم أحقاده ونيرانه ، لذلك لم يكن من المستغرب من الشريف غالب على الإطلاق فور علمه بخروج الفرنسيين من مصر أن يعلن الحرب على آل سعود عام ١٢١٦ هـ/ ١٨٠١م[١٧] .

وكان بونابرت قد نجح في الاستيلاء على القاهرة في ٢٣ يوليو ١٧٩٨م ، وقد بادر بالاتصال بالشريف غالب بن مساعد أمير مكة في ٢٥ أغسطس أي بعد حوالي

شهر من دخوله القاهرة ، مما يوضح الأهمية الكبيرة التي كان يوليها بونابرت للاتصالات بشريف مكة[١٨] ، ويرجع موقفه ذلك إلى مجموعة من العوامل منها :

أولاً : الأسطول الإنجليزي الذي حطم لتوه – في أغسطس ١٧٩٨م في موقعة أبي قير البحرية – الأسطول الفرنسي ، وكان يحاصر الشواطئ المصرية[١٩] ، ويسعى جاهداً ليقطع عن الفرنسيين بمصر كل سبل المعاونة والاتصال بفرنسا ، ومن هنا كان لزاماً على بونابرت وعلى كلٍ من كليبر ومينو الذين توليا القيادة من بعده أن يجدوا لهم أعواناً في المناطق المجاورة ، ولمحاولة وتهيئة وسائل اتصال غير مباشر تربطهم بالنطاق الإقليمي لمصر حتى لا يكونوا في محيط منعزل عن كل التطورات والتغيرات في المنطقة ، ومن أجل كسر الحصار الذي تسعي بريطانيا لفرضه على الحملة[٢٠] .

ثانياً : استهدف بونابرت من سياسة التفاهم مع شريف مكة أن يؤدي هذا التفاهم والعلاقات مع الشريف على الأقل إلى إبعاد السفن الإنجليزية عن البحر الأحمر ، فعندما أصدرت الحكومة الفرنسية قرارها بوضع جيش الشرق تحت قيادة بونابرت للقيام بالحملة على مصر ، أشارت في هذا القرار إلى الهدف الأساسي لجيش الشرق في مصر وهو طرد الإنجليز من كافة ممتلكاتهم في الشرق أو الجهات التي يستطيع الوصول إليها وعلى وجه الخصوص القضاء على مراكز الإنجليز التجارية في البحر الأحمر ثم الهند ، وبالتالي فقد كان الصراع الفرنسي الإنجليزي حاضراً بقوة في البحر الأحمر . وبالتالي فقد سعى الفرنسيون للتحالف مع الشريف من أجل منع الإنجليز من تأسيس مراكز جديدة لهم في جدة ، اعتقد الفرنسيون أن في وسعهم التأثير على الشريف حتى يعلن استقلاله ، وينفصل عن الباب العالي إذا هم أفلحوا في إثارة مخاوفه وشكوكه من الإنجليز والعثمانيين [٢١] .

ثالثاً : أدرك بونابرت أهمية الحركة التجارية بين السويس وجدة خاصة بعد توقف النشاط التجاري لموانئ الشمال المصري بسبب الحصار الإنجليزي[٢٢] ، وليس

أدل على الأهمية الكبيرة التي كان بونابرت يوليها لمسألة دعم حركة التجارة في السويس من قيامه هو نفسه بزيارة لمدينة السويس في ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨م ، حيث أصطحب معه شاهبندر تجار القاهرة أحمد المحروقي ، وأمين جمارك السويس السابق إبراهيم أفندي ، وفور وصوله للسويس وتفقده للميناء فقد أمر بتحصين الميناء بشكل جيد ، حتى لا يسمح للإنجليز بالنزول به ، وكانت إحدى السفن الموجودة بالميناء قد غرقت فأمر الغواصين بالعمل على انتشال السفينة وما بها ، وعد تجار المدينة الذين تعرضوا للنهب على أيدي الجنود الفرنسيين بتعويض بضائعهم ، كما حث التجار على عدم القلق من إضافة جمارك خارجه على القانون[٢٣] ، كما أن حرص بونابرت على إنعاش تجارة السويس كان جلياً في رسائل بونابرت إلى الشريف غالب[٢٤] ، وكانت مصلحة الفرنسيين تتفق مع مصلحة شريف مكة في استمرار النشاط التجاري فيما بين جدة والسويس ، فبينما كانت إيرادات الجمارك من البضائع الواردة من الحجاز ذات قيمة كبيرة للفرنسيين الذين خويت خزائنهم من النقود ، وتوقف اتصالهم بفرنسا جراء تحطم أسطولهم البحري بعد معركة أبي قير البحرية ، ومحاصرة الأسطول البريطاني للشواطئ البحرية المصرية ، نجد أن شريف مكة يرغب في استمرار تجارته مع مصر ، لأن بلاده كانت تعتمد عليها في تصريف البن اليمني ، والأقمشة والتوابل الواردة إلى جدة من الهند[٢٥] ، وكانت تجارة جدة تشكل ما يقارب ٤٠٪ من دخل الشريف ، وقد تزايدت أهمية هذه التجارة جراء توقف قوافل الحج القادمة من مصر أيضاً .

رابعًا : الأهمية الدينية للشريف غالب لنسبه للرسول محمد (ﷺ) ، وإشرافه على أهم الأماكن المقدسة للمسلمين ، وكان بونابرت يدرك أن العقبة الكبرى التي تحول بينه وبين السيطرة على مصر هي عقبة الدين . لذلك فقد كان الخطاب الفرنسي للمصريين يؤكد دائماً على أهمية الإسلام ، وأنهم الفرنسيون غير معادين للمسلمين ، ولم يغزوا مصر لإزالة الإسلام ، وفي هذا المعنى ، فإن المنشورات التي كانت توزع على

البلاد قبل وصول الجيش الفرنسي إليها ، تضمنت في أولها البسملة ونفي الولد والشريك عن الله[٢٦] ، لذلك فقد تم نشر الخطابات الواردة من الشريف وتعليقها في شوارع القاهرة من أجل إقناع عموم الأهالي بأن شريف مكة قبل بالتعاون مع الفرنسيين في مصر .

خامساً : كان بونابرت يعول على أن يؤدي بناء علاقات طيبة مع شريف مكة إلى اكتساب ثقة حكام المنطقة ضد بريطانيا وخاصة حاكم مسقط ، لذلك فقد كان ذلك مبعث قلق البريطانيين بشكل كبير ، حيث أرسل بونابرت إلى إمام مسقط عبر الشريف غالب ، يطلب منه التحالف معه من أجل التصدي للإنجليز ، فخشي ولزلي حاكم عام الهند أن يؤدي ذلك إلى وقوع مسقط في أيدي الفرنسيين ، لذلك فقد أرسل ولزلي إلى الإمام سلطان بن أحمد يطلب عقد اتفاقية للتحالف بين بريطانيا ومسقط في ١٧٩٨ ، وقد قبل الإمام سلطان بن أحمد البوسعيد التحالف مع بريطانيا بعد أن وصلت إليه أخبار معركة أبو قير وهزيمة الأسطول الفرنسي وتحطمه[٢٧] .

سادساً : كان بونابرت يدرك مدى النفوذ الروحي والديني للسلطان العثماني ، فحاول منذ بداية وصوله إلى مصر أن يظهر بمظهر الحليف للسلطان ، وأنه إنما جاء إلى مصر ليطهرها من المماليك المفسدين ، يظهر ذلك واضحاً في أول رسالة وجهها بونابرت إلى الشعب المصري من على ظهر السفينة آريان ، فيقول " الفرنساوية في كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثماني ، وأعداء أعدائه ، أدام الله ملكه" . إلا أنه في أعقاب إعلان السلطان العثماني الحرب على فرنسا في ٩ سبتمبر ١٧٩٨ ، وجد بونابرت في شريف مكة ضالته المنشودة التي يمكن بها مواجهة النفوذ الروحي والديني للسلطان في مصر ، ويبدوا أن بونابرت قد عرف أن السلطان العثماني ينوي إعلان الحرب على فرنسا قبل الإعلان الرسمي بوقت قصير . لذلك فقد أراد أن يستخدم شريف مكة بوصفه حاكم المقدسات الإسلامية كبديل للسلطان

العثماني[٢٨] .

على العموم ففي ٢٥ أغسطس ١٧٩٨ أرسل نابليون بونابرت إلى الشريف غالب أولى رسائله ، ثم في ٢٧ أغسطس أتبعها برسالة ثانية ، كما استكتب أعضاء الديوان من المشايخ رسالة ثالثة إليه أيضاً في أول سبتمبر ١٧٩٨ ، مما يدل على مدى الأهمية التي كان يوليها بونابرت للشريف غالب ، وفور ورود أول رسالة من الشريف غالب للقاهرة ، أمر بونابرت على الفور بطباعتها ونشرها في البلاد حتى يتأكد عامة الناس في مصر من العلاقات الطيبة التي تربط الفرنسيين بحامي المقدسات الإسلامية وسليل بيت النبوة ، وحتى يظهر الفرنسيون على ضوئها بمظهر المحافظين على إقامة شعائر الدين (الحج) ، كما حرص نابليون على التعرف على إمكانية اتخاذ الحجاز كمحطة للبريد إلى الشرق ، فقد أراد بونابرت أن يقيم شبه حلقة اتصال بين مصر وبين تيبو صاحب في الهند بالاتفاق مع كلٍ من شريف مكة وسلطان مسقط الذي كتب إليه بنفس المعنى[٢٩] . ولكن ماهي العوامل التي دفعت شريف مكة للاستجابة لخطابات نابليون وإرسال رسائل إليه؟

موقف الشريف غالب من رسائل بونابرت

كان الشريف غالب هو الحاكم الوحيد من الحكام المسلمين الذي رد على رسائل بونابرت ، بل وعمل على كسب مودته والدخول في علاقات اقتصادية معه ، ويرجع ذلك إلى العديد من المشاكل التي كانت تواجه الشريف غالب منذ تولي حكم مكة في عام محل اخية الشريف سرور وهي : -

أولاً : إدراك الشريف غالب ضعف الدولة العثمانية وعجزها عن حماية ولاياتها ، فخشي أن تمتد يد بونابرت إلى بلاده خاصة أن من أهداف الحملة الوصول إلى الهند ولن يحدث ذلك إلا عبر الحجاز ، لذلك فقد أسرع بالكتابة إليه وبمهادنته حتى يُؤمن جانبه[٣٠] .

ثانيًا : كما كان الشريف غالب يدرك مدى ضعف الحجاز الاقتصادي واعتماده الكبير على مصر وعلى أموال الأوقاف الموقوفة في مصر على الحرمين ، وكذلك الغلال والحبوب التي يتلقاها الحجاز في كل عام من مصر ، فمنذ العصر الفاطمي ظل السادة المسيطرون على القاهرة يتمتعون بالنفوذ الروحي على المسلمين نتيجة لهيمنتهم ونفوذهم في الحجاز ، فقد كان الحجاز يتبع مصر تبعية تلقائية ، ترجع إلى ظروفه وأوضاعه الاقتصادية الخاصة ، وكان الشريف غالب يدرك ذلك جيداً ، ألم يقم أسلافه بإعلان ولائهم للسلطان سليم الأول فور دخوله القاهرة في سنة ٩٢٣ هـ/ ١٥١٧م[٣١] .

ثالثًا : إضافة إلى ذلك كانت السوق المصرية السوق الرئيسية للتجارة والبضائع الهندية واليمنية التي تصل إلى السويس عبر جدة ، وكان الشريف غالب يعتمد عليها في الجزء الأكبر من دخله[٣٢] ، لذلك لم يكن لدى الشريف مانع من التفاوض مع بونابرت من أجل استمرار الحركة التجارية بين جدة والسويس ، ووصول قافلة الحج المصري إلى الحجاز التي كانت أحد روافد دخل شريف مكة ، خاصة أن الهزائم المتتالية التي تعرضت لها جيوشه على أيدي السعوديين أفقدته خسائر مالية كبيرة[٣٣] ، مما جعله في أشد الحاجة إلى الأموال ، وأدي عدم دفع عوائد القبائل العربية المرابطة في الحجاز من قبل أمراء مصر وشريف مكة جعلت القبائل العربية مثل حرب ، وعتيبة تغير ولاءها من الشريف إلى السعوديين[٣٤] .

وقد تم تبادل ما يقرب من عشر رسائل بين الشريف غالب وبونابرت تناولت نقاطًا رئيسية هي التجارة بين جدة والسويس ، ووصول السفن الحجازية إلى السويس حاملة البن والسلع الهندية ، وقافلة الحج وعوامل خروجها وتأمين وصولها إلى الحجاز ، والمخصصات النقدية والعينية المصرية للحجاز ، وبالإضافة إلى عملية الرسائل التي طلب بونابرت من الشريف إرسالها إلى جهات معينة[٣٥] .

لقد حرص بونابرت من خلال رسائله إلى الشريف غالب على أن يكتسب وده ، فوعده بوصول قافلة الحج والأموال المخصصة في مصر للحجاز ، فمثلاً في رسالته الأولى يذكر بونابرت "أطمئنكم على عزمي الوطيد على أن أحمي بكل السبل راحة الحجيج إلى مكة ، وستظل المساجد وكل الأوقاف التي لمكة والمدينة في مصر في حوزتها كما كانت في الماضي" [٣٦] ، كما استكتب بونابرت أعضاء ديوان القاهرة الذي كان يرأسه شيخ الأزهر الشيخ عبد الله الشرقاوي ، وكبار علماء الدين في مصر رسالة إلى شريف مكة في أول سبتمبر ١٧٩٨ تحدثوا فيها عن الجهود التي يبذلها بونابرت من أجل إقامة العدل ، والحفاظ على شعائر الدين ، و إخراج قافلة الحج وتعيينه للأمير مصطفي أغا قائداً لقافلة الحج ، وعن نيته في إرسال الأموال المخصصة من مصر إلى الحرمين الشريفين[٣٧] ، وفي رسالته الثانية أعرب بونابرت للشريف غالب كذلك عن تعيينه أميراً للحج ، وأن الاستعدادات تجري لإخراج القافلة في موعدها المحدد ، وقد أعرب الشريف لبونابرت في رسائله عن سعادته بفكرة وصول الحجيج إلى مكة ، وأبدى كامل استعداده لتأمين وصولهم من غارات العربان[٣٨] ، وقد أغرى حديث بونابرت هذا الشريف غالب الذي لم يكتف فقط بطلب إرسال الأموال من أوقاف الحرمين في مصر ، بل أرسل إلى بوسليج possielgue يطلب إرسال كسوة الكعبة ، وهكذا يبدو لنا أن بونابرت كان يدرك تماماً مدى حاجة الشريف إلى أموال وغلال أوقاف الحرمين في مصر ، لذلك فقد عمل على التلويح بها للشريف ، لكن بونابرت كان حريصًا في واقع الأمر من خلال مراسلاته مع الشريف على استمرار الحركة التجارية بين جدة والسويس ، كما طلب من الشريف إقناع التجار في جدة إرسال سفنهم إلى السويس مؤكداً له حسن المعاملة التي سوف يلقونها ، أما الشريف فأرسل إليه يطلب تحديد القيم الجمركية على السلع قبل وصولها إلى السويس ، كما طالب بونابرت بضرورة تأمين التجارة عند نقلها من السويس إلى القاهرة[٣٩] . فقد أراد نابليون إنعاش طرق تجارية أخري بعد الحصار الإنجليزي لشمال

مصر ، خصوصًا تجارة السويس وبدأ بتخفيض الرسوم الجمركية في السويس ، كما عين بوسليج مسئولاً عن هذه الجمارك من أجل تنظيمها ، لقد بالغ نابليون في تقدير أهمية الشريف غالب في العالم الإسلامي ، واستمر في مراسلته خمسة أشهر على أمل أن يؤدي ذلك لانتعاش حركة التجارة بشكل كبير ، وعندما لم يكن لذلك أثر كبير فقد طلب قائده في السويس بأن يعمل على كسب أكبر عدد من التجار الحجازيين واليمنيين والعمانيين حتى تكون تجارتهم مباشرة مع السويس(٤٠) .

وكان الشريف غالب نفسه تاجرًا كبيراً ، فكان يمتلك العديد من السفن كان يرسل منها في كل عام اثنان إلى الهند حمولة كل واحدة منها ٤٠٠ طن ، فيما كانت تعمل باقي سفنه في نقل البن من اليمن والسلع الإفريقية من الساحل الإفريقي ، وإذا ما عجز الشريف عن بيع البن أو السلع الهندية المستوردة لحسابه على الفور فإنه كان يوزع حمولة سفنه على التجار المحليين بالسعر السائد في السوق بكميات تتناسب مع ممتلكات كل تاجر ، وبذلك يجعل منه بالضرورة شارياً لهذه البضاعة مقابل النقد الجاهز ، ومع أنه كان يفرض على تجار جدة ضرائب ثقيلة ، لكنه لم يمارس أية عملية ابتزاز بحقهم ، وكان إذا ما اقترض أي مال يعيده في الموعد المحدد ، لكنه كان يفرضها على المجتمع ككل(٤١) ، ذلك فقد كان الشريف غالب يتعامل بعقلية التاجر وليس السياسي فقط ، لذلك فقد وصلت بالفعل السفن من جدة في ذي الحجة ١٢١٣ هـ/ مايو ١٧٩٩ م ، فيقول الجبرتي" وفيه وصلت تسع داوات(٤٢) بها بُن وبهار ، وبها بضائع لشريف مكة نحو الخمسمائة فرق بن(٤٣) ، وكانت الإنكليز منعتهم الحضور ، فكاتبهم الشريف ، فأطلقوهم بعد أن حددوا لهم أياماً مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشوراً ، وسامح الفرنسيون بن الشريف من العشور لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك(٤٤) ، وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوماً"(٤٥) .

وعلى الرغم من ذلك لم يثق بونابرت منذ البداية في الشريف غالب ، فكان حذراً في طلبه بإرسال عدد من الرسائل إلى سلطان عُمان(٤٦) وتيبو سلطان ميسور في

الهند[٤٧] ، وقنصل فرنسا في ميناء مخا اليمني ، فلم يرسل له في ذلك إلا في نهاية شهر ذي الحجة ١٢١٤ هـ/ إبريل ١٧٩٩م بعد أن تأكد من صدق تعاونه معه ، ثم أرسل له مرة أخرى في ٣٠ يونيو بضرورة إتمام إرسال هذه الرسائل ، ورسالة ثانية إلى قنصل فرنسا في مخا يأمره فيها بدفع مبلغ ٩٤,٠٠٠ فرنك إلى الشريف ، ويذكر بونابرت للقنصل الفرنسي أن هدفه من ذلك "إيجاد قناة موثوق بها لكي نتراسل معكم ، على الرغم من الطرادات الإنجليزية التي تعيث في البحر الأحمر فساداً"[٤٨] .

وقد اتبع مينو نفس سياسة بونابرت في محاولة جذب الشريف غالب إلى جانب الفرنسيين لإعادة العلاقات التجارية بين جدة والسويس ، وكان مينو يعتقد أن مساعيه سوف تكلل بالنجاح في هذه الناحية لأن الشريف أظهر في السنتين الماضيتين ميولاً ظاهرة نحو الفرنسيين ، فرفض نزول الأسطول الإنجليزي في جدة ، كما أنه قبل في جمادى ثاني ١٢١٥ هـ/ أكتوبر ١٨٠٠م أن يدع بريد مينو يمر إلى جزيرتي "إيل دي فرانس ، ولا رينيون(La Réunio)[٤٩] . الفرنسيتين" مما شجعه على الكتابة إليه في ٣٠ نوفمبر يقول له "إن بونابرت قد كلفه بأن يعمل على تجديد معاهدات الود والصداقة مع شريف مكة[٥٠] ، وأنه ينتهز هذه الفرصة حتى ينبهه بأن جميع رعايا الشريف في وسعهم أن يحضروا إلى السويس دون خوف أو وجل ، ويؤكد له أن التجار لن يدفعوا أية إتاوات أو مغارم ، كما أنه لن يقع لهم ما يزعجهم لأن مينو على حد قوله قد ألغى جميع ما كان يفرض على متاجرهم في الزمن الماضي مكتفياً بتحصيل ضريبة واحدة فحسب "فلا يستطيع فرنسي أن يحصل بارة[٥١] واحدة زيادة على الضريبة المقررة ، وإلا كان نصيبه الموت فوراً ودون إمهال ، وعزا مينو هذا القرار لما يكنه من تقدير للشريف غالب .

ولم ينس مينو أن يلوح للشريف بأنه كان راغباً في إخراج قافلة الحج ، وإرسال أموال أوقاف الحرمين والكسوة لولا ظروف الحرب القائمة ووعده بالعمل على تحقيق

هذه الرغبة في العام القادم ، وقد أخذ مينو يعمل على إقناع الشريف – الذي كان في أشد الحاجة إلى الأموال – لإعادة العلاقات التجارية بين جدة والسويس ، وبالفعل فقد نجحت مساعي مينو في ذلك فأرسل الشريف السفن مرة أخرى إلى السويس في شهري نوفمبر وديسمبر تحمل البن والأقمشة الهندية والبهار(٥٢) .

وعلينا أن ندرك أنه على الرغم من الجهود التي بذلها بونابرت ثم مينو من أجل إنعاش تجارة مصر مع الحجاز عن طريق شريف مكة ، ومحاولات استمالته إلا أن هذه المحاولات باءت جميعها بالفشل بسبب وجود قوات شركة الهند الشرقية الإنجليزية في البحر الأحمر ، فالجبرتي يؤكد على ذلك فيقول عن بداية سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م "ومنها استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر وغلو البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية حتى غلت أسعار جميع الأصناف ، وانتهى سعر كل شيء إلى عشرة أمثاله"(٥٣) ، مما يوضح ضعف الحركة التجارية بين جدة والسويس إبان الوجود الفرنسي بها . ولعل ذلك يدفعنا لفهم السياسة البريطانية في البحر الأحمر ، وكيف حاول الإنجليز محاصرة الحملة في مصر من خلال تواجد الاسطول البريطاني في البحر الأحمر .

موقف الشريف غالب من الجيلاني والمجاهدين الحجازيين

كان للحجازيين حضور واضح في مقاومة الاحتلال الفرنسي لمصر وخاصة في الصعيد ، فقد شكل المتطوعون من أهل الحجاز مجموعات محاربة منظمة بشكل جيد ، وقد استطاعت هذه القوات مع أهالي الصعيد إحراج القوات الفرنسية المسلحة بأسلحة حديثة ، وحققت العديد من الانتصارات عليها ، إن السؤال الذي يطرح نفسه هنا ، ما هو موقف الشريف غالب من هؤلاء المجاهدين الحجازيين؟ وكان الشريف غالب فور علمه باحتلال الفرنسيين لمصر قد قام بإصدار التعليمات للأهالي والمجاورين للحرم من الحجاج بالتدريب على حمل السلاح ، وأعد لذلك ساحة في جرول ، وبالفعل توافدت عليها مجموعة كبيرة من الرجال ، كما بذل التجار في جدة قدراً

كبيراً من المال من أجل التصدي للفرنسيين(٥٤) ، كما أمر الشريف غالب بإصلاح سور جدة لتقويته استعداداً لصد الفرنسيين إذا ما هاجموا جدة ، ولكن مع وصول رسائل بونابرت فقد أدرك الشريف أن مسألة مهاجمة جدة ومكة ليس لها وجود ، وقد أصبح هؤلاء المجاهدين في انتظار وصول الفرنسيين عبئًا كبيراً على إدارته لذلك ففور إعلان الشيخ محمد الجيلاني عزمه على الرحيل إلى مصر لمهاجمة الفرنسيين وقتالهم ، فقد رحب الشريف غالب بذلك .

ولم يلعب الشريف غالب دوراً في هذه الدعوة ، ولم يكن الشريف ليستطيع صدها أو إخماد التيار الديني الجارف الذي رغب في الدفاع عن مصر ، وبخاصة إذا كان هذا التيار يتعلق بعمليات جهاد ضد غزو أجنبي مسيحي لمصر ، كما أنه لم يكن يستطيع أن يجاهر بونابرت بالعداء وهو لا يمتلك العتاد والعدة ، لذلك لم يعمل الشريف على الدخول في علاقات عدائية مع الفرنسيين في مصر ، ولكنه لم يمنع تدفق الحجازيين المجاهدين إلى مصر ، ولم يكتف بذلك بل مد لهم يد العون ، فيشير المؤرخ اليمني لطف الله جحاف إلى أن الشريف غالب قدم المساعدات للمجاهدين إلى الذين توجهوا مصر(٥٥) ، وقام بإمدادهم بالأسلحة ، كما قام بنقلهم على بعض السفن التي كان يمتلكها ، لكن الرجل لم يتورط في الدخول في مواجهات عسكرية مع الفرنسيين مكتفياً فقط بعمليات نقل هؤلاء المجاهدين وإمدادهم ببعض الأسلحة ، والسؤال عن هدف الشريف من ذلك مهم للغاية ، فقد كان الشريف يدرك جيداً أن الفرنسيين لن يستمروا طويلاً في مصر ، وأن الإنجليز والعثمانيين لن يتركوا الفرنسيين يستقرون بها ، فاستهدف الشريف من ذلك أنه إذا خرجت الحملة الفرنسية من مصر قدم إلى الحكام الجدد لمصر مدى صدق تعاونه لإخراج الفرنسيين من مصر .

على العموم فقد كان نجاح الشيخ محمد الجيلاني في تجنيد أعداد كبيرة من الحجازيين راجعاً بشكل أكيد لموقف الشريف غالب الذي لم يعارض تجمع هؤلاء المجاهدين وقام بنقلهم بخمسة من سفنه إلى القصير ، ولكن من هو الجيلاني المغربي

الذي تتحدث عنه المصادر دون توضيح كاف لذلك ، وهل يمكن لرجل لا يمتلك إلا الشجاعة قيادة جموع كبيرة كانت تصل في أول فوج منها إلى ٦٠٠ رجل ، تشير وثائق الأرشيف المصري إلى أسرة الجيلاني في جدة وهي أسرة ترجع أصولها لمدينة فاس استقرت في القاهرة في منتصف القرن الثامن عشر ، حيث عملت في التجارة بين جدة والسويس وخاصة تجارة البن ، وتشير كذلك لضخامة الأعمال التجارية لهذه العائلة الثرية ، فتشير تركة شاهبندر تجار القاهرة الخواجا أحمد بن عبد السلام مشيش إلى أن الرجل كان له عند وفاته في عام ١٢٠٥هـ / ١٧٩٠م ثماني شركات كبرى ؛ أربع منها مع تجار مغاربة كانوا يعيشون في جدة وهم إبراهيم الجيلاني وأخيه عربي الجيلاني و محمد بن العربى السقاط ومحمد السلاوى . أما الأربعة الآخرون فقد كانوا الخواجا أحمد المحروقى ومحمود محرم وعبد رب النبي البنانى وأنطوان زغيب ، وقد بلغت حصة الخواجا أحمد عبد السلام في هذه الشركات ٣٦٤٠٢ ريال مثلت ٢٤٪ من إجمالي تركته(٥٦) . غير أن المصادر الأجنبية تشير بوضوح أكبر لعائلة الجيلاني فعند زيارة بوركهارت لجدة في يوليو ١٨١٤م يشير بوركهارت إلى أنه قد حمل معه رسالة من محمد المحروقي شاهبندر تجار مصر إلى عربي الجيلاني شاهبندر تجار جدة وأغني تجارها ، ويقول أيضاً " وأغني تجار هذه المدينة هما الجيلاني وسقات ، وهما من أصل مغربي ، استقر أجدادهما هنا ، والمعروف أنهما يملكان ما يتراوح بين ١٥٠ و٢٠٠ ألف جنية أسترليني"(٥٧) .

ويوضح ذلك أن عائلة الجيلاني كانت تعيش في جدة منذ فترة طويلة ، وقد كانت مثل كل العائلات المغربية يعمل بعض أفرادها بالتجارة وبعض أفرادها يعملون بدراسة العلوم الشرعية والفقهية ، ويبدو أن الشيخ محمد الجيلاني كان يقوم بدارسة وتدريس العلوم الدينية في جدة ومكة ، وفور علمه بغزو الفرنسيين لمصر فقد قام بالدعوة للجهاد وتجمع حوله عدد كبير من الرجال ، ما يقارب ٦٠٠ مقاتل وتبرع عدد من تجار جدة بالأموال والأسلحة ونقل هؤلاء المجاهدين إلى القصير ، كما وصل عدد

كبير أيضاً من الرجال من ينبع ، وتشير بعض المصادر إلى أن عدد هؤلاء المجاهدين تراوح بين ألفين وأربعة ألاف من الرجال ، وقد قام هؤلاء المجاهدين بدور كبير في إضعاف قوة الفرنسيين ، ونجحوا في قتل عدد كبير من جنودهم في معارك سمهود والرديسية وأبو مناع(٥٨) ، إلا أن تفوق المدفعية الفرنسية كان هو السلاح الحاسم في المعركة ، حيث أدي امتلاك الفرنسيين للمدفعية إلى خسائر كبيرة في المجاهدين ، ومقتل الشيخ الجيلاني .

ومع انتهاء معركة سمهود في ٢٢ مايو ١٧٩٩ ، وتوقف الحرب في قنا كان ديزيه يلح على بليار Beliard بشكل كبير بالقيام بحملة على القصير من أجل صد تيار المتطوعين الذين أطلقوا عليهم المكيين ، وكذلك من أجل زيادة موارد الإدارة الفرنسية المالية من جمارك القصير ، ودعم نشاط حركة التجارة بين مصر والحجاز ، لذلك فقد تم تكليف بليار ودونزوليه Donzalit بقيادة الحملة مكونة من ٣٥٠ من الجنود الفرنسيين بالإضافة إلى قافلة تحمل الإمدادات والمعدات العسكرية ، وقد نجح بليار في الاستيلاء على القصير في ٢٥ مايو ١٧٩٩ ، وتشير المصادر الفرنسية إلى أن تلك القافلة جاء في ركابها قافلة تجارية كبيرة ضمت ٩٠٠ جملاً تحمل المواد الغذائية من الغلال وخاصة القمح ليتم تصديرها من القصير إلى جدة وينبع ، كما تشير إلى دخول ستة عشر سفينة تجارية من جدة وينبع تحمل البن والأقمشة القطنية الهندية(٥٩) ، وقد أدرك الفرنسيون خطورة الوضع في القصير بسبب وجود الأسطول البريطاني في مياه البحر الأحمر ، فلم يتم رفع العلم الفرنسي في قلعة القصير وترك الفرنسيون العلم العثماني على القلعة ، على العموم يبدو أن حركة التجارة بين جدة وينبع والقصير قد استمرت بسبب الحاجة الشديدة في الحجاز للمواد الغذائية المنتجة في مصر ، وكذلك الحاجة لتصريف البن اليمني والمنتجات الهندية الواصلة إلى جدة(٦٠) ، هكذا فقد استمرت حركة التجارة بين جدة وينبع والقصير رغم ضعفها ، وأن الفرنسيين لم يكن لهم تدخل كبير فيها . أما ميناء السويس فلم تتردد عليه

السفن بشكل دائم ومنتظم ، ويبدو أن ذلك كان يرجع إلى رفع الفرنسيين لأعلامهم في السويس ووجود البريطانيين ومراقبة العثمانيين للسويس .

موقف الدولة العثمانية من علاقة الشريف غالب بالفرنسيين في مصر

ما إن ترددت أصداء غزو مصر في إسطنبول حتى أخذ شعور الغضب يعم في أرجاء المدينة خاصة مع تردد أنباء رسائل نابليون بأن غزو مصر تم بإذن من السلطان العثماني ، وقد قام السلطان سليم الثالث بإلقاء القبض على السفير الفرنسي وموظفي السفارة في إسطنبول وتم إيداعهم سجن الأبراج السبعة ، كما صدرت الأوامر بالانتقام من كل الفرنسيين في الأراضي العثمانية فألقي القبض على التجار وصودرت ممتلكاتهم . وفي الثاني عشر من سبتمبر صدر فرمان إعلان الحرب على فرنسا من الباب العالي ، وأكد الفرمان أن مصر بموقعها الرئيسي الذي يمثل بوابة الحرمين الشريفين يجعل مسألة احتلالها أمراً يهم المسلمين كلهم ، والواقع أن فرمانات عدة سبق أن صدرت أواخر شهر أغسطس تدين الغزو الفرنسي لمصر ، وما يهمنا هنا هو إرسال العديد من نسخ هذه الفرمانات إلى الشريف غالب في مكة ، ومطالبته بتحصين قلعة جدة ، وإعلان الجهاد ضد الفرنسيين ، والواقع أن الشريف قد رحب في البداية بموقف الدولة العثمانية ، وأعلن فعلاً الجهاد من أجل تأمين الحرمين[٦١] ، ولكنه عندما أدرك أن مسألة طرد الفرنسيين سوف تستغرق سنوات خاصة بعد أن وصلت إليه أخبار سيطرتهم على صعيد مصر وهزيمة القوات التي خرجت من جدة وينبع ، فقد عمل على الخروج من دائرة السياسة العثمانية ، وقرر التواصل مع الفرنسيين في مصر ، من أجل استمرار بيع البن والأقمشة الهندية ، واستيراد المواد الغذائية الأساسية لاستمرار الحياة في الحجاز[٦٢] .

توضح وثيقة صادرة من الصدر الأعظم إلى السلطان العثماني في عام ١٢١٥هـ/ ١٨٠٠م يطلب فيها تعيين إبراهيم باشا والي ديار بكر والياً على جدة

ومحافظًا للمدينة المنورة محل يوسف باشا الذي توفي هناك ، موقف الدولة العثمانية من مسألة العلاقات التي نشأت بين الفرنسيين في مصر والشريف غالب ، حيث تشير الوثيقة إلى وفاة باشا جدة ومحافظ المدينة المنورة السابق يوسف باشا في أعقاب وصول الفرنسيين لمصر ، ويطلب الصدر الأعظم من السلطان أن يعين إبراهيم باشا واليًا لجدة ومحافظًا للمدينة على أن يقيم في جدة وليس في المدينة المنورة ، حيث أدي عدم وجود باشا في جدة منذ بعض السنوات السابقة إلى زيادة نفوذ الشريف غالب في مكة وجدة ، وتقول الوثيقة " إن عدم إقامة الوالي بها لبضع سنوات جعل شريف مكة يسيطر على جدة ، ويأتي من الأفعال ما يستوجب قطع يده ، حسبما ترامي إلى اسماع عبدكم ، وزاد على ذلك هذه المرة بأن كتب إلى الجناب السلطاني يطلب اسناد ولاية جدة إليه وعدم إرسال وال إليها فإذا ما أقام الوالي الجديد في المدينة المنورة سيصبح الأمر وكأن ولاية جدة قد أسندت للشريف ، إن حال وسلوك الشريف لا يخفيان عن الدولة" كما يشير تقرير الصدر الأعظم إلى قيام قائد القوات البحرية البريطانية في البحر الأحمر بإرسال تقرير يفيد بأن الشريف على اتصال بالفرنسيين في مصر ، مدعياً بانه حاكم الجزيرة العربية ، وأنه يقوم بتسيير السفن من جدة إلى الأراضي المصرية عن طريق القصير(٦٣) .

ويوضح تقرير الصدر الأعظم للسلطان العثماني أن الدولة لم تكن تريد الصدام مع شريف مكة خلال هذه المرحلة رغم علمها بتصرفاته تجاه الفرنسيين وتواصله مع قادتهم في مصر ، ويوضح الصدر الأعظم أنه سوف يكتب للشريف دونما إشارة إلى معرفته بتفاصيل تحركاته وعلاقاته مع الفرنسيين ، وأحذره من نوايا الفرنسيين (أعداء الدين) العدوانية ، مع الإشارة إلى أنه تنامي إلى علمه بأن السفن التجارية تمخر العباب جيئة وذهابًا بين مصر وجدة ، كما أوصي الصدر الأعظم من الشريف غالب بإمداد السفن الإنجليزية الموجودة في البحر الأحمر والتي تراقب سواحل مصر بما تحتاجه من ماء وذخيرة بالشراء(٦٤) . ويوضح ذلك أن الدولة العثمانية قد حاولت دعم

حلفائها الإنجليز في البحر الأحمر ، إلا أن حاجة الشريف الاقتصادية ظلت دائماً هي المحرك لحركة التجارة بين جدة وينبع من جانب والقصير والسويس من جانب أخر .

موقف الإنجليز من العلاقات بين شريف مكة والفرنسيين :

منذ وصول الحملة الفرنسية إلى مصر كانت الإدارة البريطانية في الهند تراقب كل التطورات المحيطة بالمنطقة عن كثب ، وكانت تدرك مدي خطورة الوجود الفرنسي في مصر وتهديده لأمن الوجود البريطاني في الهند ، وعلينا أن نتساءل هنا عن موقف الإنجليز والعثمانيين من العلاقة التي كانت تربط الشريف غالب بالفرنسيين في مصر ، فقد كانت إنجلترا تسعى جاهدة لمحاصرة الفرنسيين في مصر من أجل دفعهم إلى الاستسلام والخروج من مصر(٦٥) ، ونحن نعرف أنه بعد موقعة أبي قير أصبحت شواطئ مصر الشمالية تحت السيادة الإنجليزية ، وأدى ذلك لفرض الإنجليز حصاراً شديداً على الشواطئ المصرية المطلة على البحر المتوسط حتى أصبح من المتعذر تماماً على فرنسا أن ترسل النجدات في شكل عتاد حربي أو أية إمدادات أخرى إلى جيش الشرق في مصر ، اضطر الفرنسيون في مصر إلى الاعتماد اعتماداً كلياً في تدبير شئونهم وسد حاجتهم في هذه البلاد على موارد القطر الداخلية وحدها ؛ وكان لذلك أكبر الأثر في تقرير بونابرت اتباع السياسة الإسلامية الوطنية التي أشار تليران عليه بإتباعها في مصر بعد غزوها ، وكان غرض هذه السياسة استمالة المصريين إلى تأييد الحكم الفرنسي وإقناعهم بأن الفرنسيين ما حضروا إلى بلادهم إلا ليعدلوا بينهم ويهيئوا لهم سبل العيش السعيد ، فأصبح غرض هذه السياسة الآن توفير أسباب الحياة للفرنسيين أنفسهم وترويض المصريين بشتى الأساليب على قبول حكم أجنبي عنهم .

ومن أجل وقف أي محاولة فرنسية للتقدم في البحر الأحمر ، قامت شركة الهند الشرقية الإنجليزية بإرسال الجنرال موراي Murray الذي احتل جزيرة ميونزابرايم" في ٣ مارس ١٧٩٩م ونظراً لنقص المياه وعدم صلاحية جزيرة بريم للدفاع

عن مدخل البحر الأحمر ، فقد تحرك موراي بحاميته إلى عدن ، واستقبل استقبالاً طيباً بها .

وقد حاولت شركة الهند الشرقية الإنجليزية الحصول على حق إقامة قاعدة عسكرية في عدن من أجل مراقبة الفرنسيين في مصر ، وخوفاً من بناء الفرنسيين في مصر لأسطول بحري او إرسال رسائل لأعداء الإنجليز في مياه المحيط الهندي ، لذلك فقد أرسلت الشركة مبعوثًا من مومباي إلى اليمن لمقابلة الإمام المنصور لكي يحصل منه على موافقة بإقامة قاعدة بحرية بريطانية عند مدخل باب المندب في البحر الأحمر ، مع وعد بتقديم المساعدة للإمام ، وتقديم مبلغ مالي كبير لإيجار القاعدة ، إلا أن الإمام رفض الطلب البريطاني ، خاصة مع مشاعر العداء داخل اليمن للأوربيين في ذلك الوقت ، وقد وصل هذا السخط إلى الحد الذي دفع الإمام إلى إحاطة هذا الرسول بقوة من الجند للمحافظة على حياته في أثناء سفره ، وقد وافق الإمام على بقاء الأسطول البريطاني في مياه عدن لمدة خمسة أشهر وتزويد الأسطول بالمياه والمواد الغذائية ، وفي النهاية فقد أبحر بعدها الأسطول البريطاني إلى مومباي .

وفي١٢ محرم ١٢١٤هـ/ ١٥ يونية ١٨٠٠ توجه جون بلانكت إلى جدة للاجتماع بالشريف غالب بن مساعد ، وطلب منه بلانكت أن يأمر بالصلاة عبر البلاد العربية لنجاح الجيش العثماني في طرد الفرنسيين من مصر ، وأن يكتب رسائل ودية إلى الحكام العرب والمسلمين بدعم الإنجليز باعتبارهم أصدقاء للمسلمين وحلفاء مخلصين للباب العالي ، وهم أنصار لقضية الدين والفضيلة المشتركة ، ويتوجب على الجميع أن يقدم لهم المساعدة في أي مكان يوجدون فيه! ولكن الشريف غالب لم يستجب لطلباته ، وأراد بلانكت أن يهاجم جدة ويضربها بالمدفعية[٦٦] ، ولكن حكومة الهند رفضت ذلك بشكل قاطع خوفاً من إثارة شعور العداء بين عموم المسلمين في العالم نتيجة لحساسية جدة نتيجة لموقعها بالقرب من المدن المقدسة للمسلمين .

وقد حاول الإنجليز في نفس الاتجاه إقناع الشريف غالب بعدم الدخول في العلاقات مع الفرنسيين ، ووعدوا بمساعدته في حروبه مع الوهابيين ، كما وعدوه باتفاقية تجارية ذات فوائد كبيرة بالنسبة له ، إلا أن الشريف الذي كان يشك في نوايا الإنجليز منع سفنهم من التموين بالماء والذخيرة من جدة وينبع(٦٧) ، وعلى الرغم من تصدي السفن الإنجليزية لسفن شريف مكة في البحر الأحمر ، لم تكن شركة الهند الشرقية الإنجليزية راغبة في الدخول في علاقات عدائية مع الشريف غالب ، حيث كانت سفن الشركة تتردد باستمرار على جدة ، وعلى ذلك فقد رفعت شركة الهند الشرقية الموضوع برمته إلى لندن التي أحالت الموضوع إلى السفير الإنجليزي في اسطنبول ، وفي تقريره إلى الصدر الأعظم أكد السفير الإنجليزي على تعاون الشريف غالب مع الفرنسيين في مصر ، وإرسال السفن التجارية من جدة إلى السويس والقصير . ويشير الجبرتي لذلك عندما يقول "وكانت الإنكليز منعتهم الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أيامًا مسافة التنقل والشحنة وأخذوا منهم عشوراً"(٦٨) ، ومعني ذلك أن الحصار الإنجليزي كان فعالاً في البحر الأحمر أيضاً ، وأنهم كانوا يراقبون الأوضاع عن كثب وبشكل دقيق .

وفي تقريره إلى السلطان أوصى الصدر الأعظم بضرورة تعيين والي عثماني لميناء جدة حتى يكون قريباً من الأحداث ، كما أكد الصدر الأعظم للسلطان بأنه في رسالته للشريف لن يوجه إليه تهمة التعاون مع الفرنسيين أعداء الدين ، ولكنه سوف يلفت نظره إلى ترامي أنباء تردد السفن التجارية بين جدة والسويس والقصير راجياً منه تحذير قادة السفن من التعاون مع الفرنسيين ، وهكذا لم تكن الدولة العثمانية في وضع يمكنها من اتخاذ موقف أكثر قوة من الشريف غالب ، كما لم تكن شركة الهند الشرقية الإنجليزية راغبة في الدخول في علاقات عدائية مع شريف مكة(٦٩) .

غير أن الأوامر كانت واضحة من الإدارة البريطانية في الهند للأميرال جون بلانكت بحراسة شواطئ مصر الشرقية على البحر الأحمر لإحباط أي مخططات

فرنسية لاستعمال مصر قاعدة لغزو الهند ، والحيلولة دون قيام علاقات سياسية وتجارية بين حكام المنطقة والفرنسيين ، ففي محرم ١٢١٤ هـ/ يونيو ١٧٩٩م وصل الأسطول البريطاني إلى سواحل مصر على البحر الأحمر وقامت السفينتان سنتوريون والالباتروس بمحاصرة السواحل المصرية ، وفي صفر ١٢١٤ هـ/ يوليو ١٨٠٠م قام الأميرال جون بلانكت بقذف السويس بالمدفعية ، كما ظل يراقب حركة الملاحة في المنطقة ومعه خمسة سفن ، وهو ما يوضح محاولات الإنجليز المستمرة فرض الحصار على الفرنسيين في مصر(٧٠) . وبذلك شكل الوجود البريطاني في المنطقة ضغطًا كبيراً على حركة السفن بين جدة والقصير والسويس . كما لعب دوراً مهمًا في تصفية الوجود الفرنسي في مصر ، فقد قام الأسطول البريطاني بقيادة جون بلانكيت الذي كان يراقب السواحل المصرية بمهاجمة السويس يوم٨ ذي الحجة ١٢١٥/ ٢١ أبريل ١٨٠١ جنبا إلى جنب مع ثلاث فرقاطات وبعض السفن التي كانت تحمل حوالي ٦٠٠٠ جندي بالنزول على شاطئ السويس في فجر يوم الثاني والعشرين من أبريل استولت القوات البريطانية على المدينة التي كانت الحامية الفرنسية قد أخلتها سابقًا .

وهكذا فقد شكلت الظروف الدولية والإقليمية ضغطاً كبيراً على الوجود الفرنسي في مصر ، وقد دفعهم ذلك للبحث عن حلفاء يمكن أن يفتحوا معهم حواراً لبناء تحالف مضاد لما كان يقيمه البريطانيون والعثمانيون ، وقد خاطب العثمانيون حكام جميع الأقاليم لمنع إقامة أية علاقات سياسية أو تجارية بينهم وبين الفرنسيين في مصر من أجل إحكام الحصار حولهم وإجبارهم على الاستسلام والرحيل من مصر ، ولم يستجب لبناء علاقات مع الفرنسيين من حكام المنطقة إلا شريف مكة غالب بن مساعد ، وقد عملت الدراسة على فهم العوامل والأسباب التي دفعت الشريف لذلك ، وتحليل مدى استفادة الشريف والفرنسيين من بناء تلك العلاقات ، فقد استغل الفرنسيون رسائل الشريف في محاولة إقناع عموم المصريين بنجاحهم في بناء علاقات مع حاكم الحرمين الشريفين باعتباره الشخصية الدينية الكبرى في

النطاق الإسلامي ، كما أكدوا على أنهم ليسوا محاصرين في مصر وأن حركة التجارة عبر البحر الأحمر تعمل بشكل جيد وأن السفن تعمل في نقل البضائع بين جدة والسويس والقصير ، ورغم الاستفادة المحدودة والوقتية التي جناها الشريف غالب من علاقته بالفرنسيين في مصر لم يكن الرجل في موقف يستطيع معه إعلان عدائه بشكل مباشر مع الفرنسيين في مصر ، فقد كان يعتمد بشكل أساسي على السوق المصري لتصريف البضائع القادمة لجدة من اليمن والهند ، كما كان في حاجة شديدة لإمداده بالمواد الغذائية ، وقد أدرك نابليون مدي حاجة واعتماد الشريف على مصر وعلى وصول قافلة الحج المصري ، وبالتالي فقد عمل على مغازلة شعور الشريف غالب واحتياجاته الغذائية والمالية ، وقد تعامل الشريف غالب مع الفرنسيين بمنطق التاجر الذي يستفيد من اللحظة القائمة وليس السياسي بعيد النظر ، فلم تكن ظروفه الاقتصادية والسياسية تمنحه فرصة المناورة أكثر من مساعدة المجاهدين في بداية وصول الحملة ، ورغم رغبة الشريف في استمرار حركة التجارة ، فلا شك في أن عبارات الشريف ومراسلاته كانت تنطوي على الخديعة والمناورة السياسية أكثر منها رغبة في بناء علاقات مع الفرنسيين في مصر .

على العموم فإنه يمكننا فهم المواقف المرنة المتناقضة الصادرة من الشريف غالب أمير مكة في كونها ترجع إلى ظروفه الاقتصادية الخاصة ، ففي الوقت الذي يتبادل رسائل الود مع الفرنسيين بسبب خوفه من انتهاء النفوذ العثماني على مصر بشكل كامل وطويل ، وامتداد هذا النفوذ الفرنسي إلى الجزيرة العربية ، نجده في نفس الوقت يمد يد العون للمجاهدين ضد الحملة ، ويرسل إلى حاكم اليمن المنصور محذراً إياه من الخطر الفرنسي والإنجليزي ، وضرورة تحصينه لموانئ اليمن محذراً إياه من إعطاء الإنجليز أية امتيازات في موانيه ذاكراً له ما فعله الإنجليز في الهند .

الهوامش

(١) كريستوفر هورليد : بونابرت في مصر ، ترجمة فؤاد آندروس ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ص١٥٧ .

(٢) إسماعيل حق أوزران : أمراء مكة في العصر العثماني ، ترجمة خليل مراد ، مركز دراسات الخليج العربي ، البصرة ، ١٩٨٥ ، صـ ١٥٤ .

(٣) عثمان بن بشير : عنوان المجد في تاريخ نجد ، مطابع القصيم ، الرياض ، ١٣٨٥هـ ، صـ ٣١ .

(٤) أحمد بن زيني دحلان : خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، مطبعة الكليات الأزهرية ، ١٣٠٥ هـ ، صـ ٣٦٧ .

(٥) علي معتوق القط : الحجاز في القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الدراسات العربية ، صـ ٨ .

(٦) محمد عبد العال محمد علي ، العلاقات بين الحجاز والدولة السعودية الأولي ١١٦٢-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٩-١٨١٨م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، ٢٠١٥ ، صـ ٨٤ .

(٧) المرجع السابق ، صـ ٨٥ .

(٨) محمد عبد الطيف هريدي : شئون الحرمين الشريفين في العصر العثماني ، دار الزهراء ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، صـ ١١٧ .

(٩) احمد بن زيني دحلان ، خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٧م ، صـ٣٦٨ .

(١٠) محمد عبد العال محمد علي ، المرجع السابق ، صـ٨٦ .

(١١) كان على مصر في كل عام إرسال ٤٢ ألف إردب من الغلال على نفقة الدولة(الميري) إضافة إلى عشرة مليون بارة ، كما كان على أوقاف الحرمين في مصر أيضًا ٣٢ ألف إردب من الغلال إضافة إلى حوالي ١٥ مليون بارة ، انظر ، حسام محمد عبد المعطي : العلاقات المصرية الحجازية في القرن الثامن عشر ، سلسلة تاريخ المصريين ، العدد ١٤٩ ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، صـ ٣١٥ .

(١٢) كان أمير مكة يحصل نسبة ٢,٥ ٪ من الأموال التي تحملها قافلة الحج من تجار مصر إلى وكلاء التجار في جدة ومكة ، وكانت هذه الأموال من الضخامة بمكان جعل هذه العملات التي يحملها موكب الحج ترتفع قيمتها في مصر عند خروج موكب الحج حوالي من ١٠ إلى ١٥ ٪ من قيمتها ، انظر : الطبري المكي ، أحمد بن محمد ، إتحاف فضلاء الزمان يسيرة بن حسن ، مخطوط ، دار الكتب المصرية ، رقم٩٣١ صـ ١٦٠ .

(١٣) محمد عبد اللطيف هريدي ، شئون الحرمين الشريفين ، صـ٢٩ .

(١٤) كريستوفر هورليد : المرجع السابق ، صـ ١١٣ .

(١٥) عبد الرحيم عبد الرحمن : الدولة السعودية الأولى ، دار الكتاب الجامعي ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، صـ ١٤٣ .

(١٦) أحمد بن زيني دحلان : المصدر السابق ، صـ ٢٥٧ .

(١٧) سنت جون فليبي : تاريخ دعوة نجد ودعوة الشيخ محمد عبد الوهاب ، ترجمة عمر الدايراري ، المكتبة الأهلية ، بيروت ، ١٩٦٢ـ صـ ١٠١ .

(١٨) محمد زكريا عناني : مراسلات متبادلة بين الشريف غالب بن مساعد ونابليون ورجال حملته على الشرق ، مجلة الدارة ، العدد الثالث ،١٤٠١ هـ/ ١٩٨١م . صـ٧٦ .

(١٩) عملت الحكومة الإنجليزية على الضغط على الدولة العثمانية ضد فرنسا ونصحت الباب العالي بإعلان الحرب عليها فلما وصلت إلى الاستانة أنباء موقعة أبي قير وهزيمة الأسطول الفرنسي وتحطمه فقد تشجعت الدولة العثمانية وأعلنت الحرب على فرنسا . واستطاع الحلفاء (تركيا – إنجلترا – روسيا) أن يستولوا على مالطة وبعض الجزر التي تتمتع بمزايا استراتيجية هامة وتشكل مراكز مراقبة لأي نشاط بحري قد يقوم به الفرنسيين في البحر المتوسط ، مما أحكم مراقبة الفرنسيين في مصر .

(٢٠) كريستوفر هورليد : مرجع سابق ، صـ ١١٣ .

(٢١) عبد الرحمن الجبرتي : عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ ، الجزء الثاني ، صـ ٢٧٦ .

(٢٢) محمد زكريا عناني : المرجع السابق ، جـ ٢ ، صـ ٤٣٩ .

(٢٣) خوان كول ، مصر تحت حكم بونابرت غزو الشرق الأوسط ، ترجمة مصطفي رياض ، مراجعة وتقديم أحمد زكريا الشلق ، المجلس القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، صـ٤٥٠ .

(٢٤)عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، صـ ٢٥٦ .

(٢٥) دار الوثائق المصرية : سجلات القسمة العسكرية ، سـ ٢٢٤ ، صـ ٦٥٧ ، م ٢٢٤ .

(٢٦) محمد سعيد العشماوي ، مصر والحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٩ ، صـ١٠٩

(٢٧) بعد أن نجح نابليون بونابرت في الاستيلاء على مصر في عام ١٧٩٨ ، كان ذلك مبعث قلق البريطانيين بشكل كبير حيث أرسل بونابرت إلي إمام مسقط يطلب إليه التحالف مع الفرنسيين للقضاء على الوجود البريطاني في مياه المحيط الهندي ، فخشي ولزلي حاكم عام الهند أن يؤدي ذلك إلى وقوع مسقط في أيدي الفرنسيين . لذلك فقد أرسل إلي الإمام سلطان بن أحمد يطلب عقد اتفاقية في ١٧٩٨ وكان من بين بنود هذه الاتفاقية إقامة وكالة بريطانية في مسقط ، إلا أن الأمام سلطان بن أحمد كان يرفض إقامة هذه الوكالة ، خوفاً من وقوع صراع أوربي جديد على أراضيه . ورغم ذلك فقد وافق الإمام في النهاية على عقد هذه الاتفاقية نتيجة للتفوق البحري الانجليزي ، وهزيمة الاسطول الفرنسي في معركة أبي قير البحرية ، وكذلك بسبب أهمية الهند التجارية بالنسبة للعمانيين حيث تعد أكبر مركز تجاري . رغبة الإمام في فتح ميناء بومباي للنشاط التجاري العماني . خوف الإمام من أن تفرض بريطانيا حصاراً بحرياً عليه . سمحت الاتفاقية للإمام سلطان أن يطلب من بريطانية السماح له بأن تتزود سفنه بكميات كبيرة من الأخشاب دون أي مقابل . وقد قبل الإمام

سلطان بالشروط البريطانية في عام ١٨٠٠ ، حيث تم توقيع اتفاقية صداقة وتعاون بين عمان وبريطانيا وكانت بنودها : السماح بإقامة وكالة بريطانية في مسقط . وتعيين وكيل تجاري تجري عن طريقه المهام التجارية ، عبد الرؤوف سنو ، اتفاقيات بريطانيا ومعاهداتها مع إمارات الخليج العربي ١٨٩٨-١٩١٦ ، مجلة تاريخ العرب ، بيروت ، ١٩٩٨ ، صـ٩ .

(٢٨) استخدم الإنجليز نفس هذه السياسة ضد الدولة العثمانية بعد ذلك في عام ١٩١٤ ، عندما دخلت الدولة العثمانية الحرب ضد بريطانيا ، حيث استخدمت الشريف حسين من أجل كسب الرأي العام العربي ، ووعدت الشريف بتأسيس مملكة عربية ، وهو ما جعل الشريف حسين ينتفض ضد الدولة ويجهز جيش كبير لمحاربتها ، لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن مراجعة مقال ، نضال داود مومني ، الشريف حسين بن علي والخلافة ، منشورات لجنة تاريخ الأردن ، سلسلة البحوث والدراسات المتخصصة ، العدد ١١ ، عمان ، الأردن ، ١٩٩٦ ، صـ٩٠ .

(٢٩) لطف الله جحاف : نصوص يمنية عن الحملة الفرنسية على مصر ، نشر وتحقيق : سيد مصطفى سالم ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، صـ ٧٠ .

(٣٠) محمد بن علي الشوكاني : ذكريات الشوكاني ، تحقيق د/سيد مصطفى سالم ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨٣ ، صـ ٣٠ .

(٣١) عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، صـ ٣٥٠ .

(٣٢) محمد زكريا عناني : المرجع السابق ، صـ ٧٤ .

(٣٣) بيتر جيران ، جذور الرأسمالية الإسلامية في مصر ، ترجمة/ سليمان محروس ، مراجعة د/ رءوف عباس حامد ، دار الفكر للدراسات والنشر ، القاهرة ، ١٩٩٢ ، صـ ٧٥ .

(٣٤) نبيل السيد الطوخي : صعيد مصر في عهد الحملة الفرنسية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، صـ ٢٨٤ .

(٣٥) عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، صـ ١٨٣ .

(٣٦) كوربيه دي لجيبت : صحف بونابرت في مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) ، ترجمة صلاح الدين البستاني ، جـ ٢ ، دار العرب للبستاني ، صـ ٨٧ .

(٣٧) نفس المرجع : صـ ١٥ .

(٣٨) عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، صـ ٢٧٦ .

(٣٩) علي معتوق القط : المرجع السابق ، صـ ٨٦ .

(٤٠) بيتر جيران ، المرجع السابق ، صـ٦٢ .

(٤١) لويس بوركهات : جدة الدكاكين والميناء والعطور ، ضمن كتاب الرحالة الغربيون إلى الجزيرة العربية والخليج (٧٦٢/ ١٩٥٠) ، دار الساقي ، بيروت ، ١٩٩٤ ، صـ ١٣١ .

(٤٢) داوات : مفردها داوا ، وهي سفينة حمولتها نحو من مائة وخمسين إلى مائتين طن من حيث الحجم ، وهي مبنية على شكل الغراب ، ولها من عشرة إلى اثنتا عشرة كوة للتحميل ، وطولها نحو

خمسة وثمانون قدماً ، وعرضها عشرون قدماً ، وعمقها أحد عشر قدماً ، وهي عادة ذات شراع أو اثنين ، وتستخدم أيضاً المجاديف ، انظر شوقي عبد القوي : تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية ، عالم المعرفة ، العدد ١٥١ ، الكويت ، ١٩٩٠ ، صـ١٤٨ . محمد زكريا عناني : المرجع السابق ، صـ ٨٦ .

(٤٣) فرق البن الإردب : وحدة وزن تستخدم في وزن الحبوب والأشياء الصلبة وكان حجمه الحقيقي يختلف تبعاً للحبوب الموزونة وكذلك المكان الذي كان يستخدم فيه ، وفى نهاية القرن الثامن عشر كان الإردب ينقسم إلى أربعة وعشرين ربعاً أو ستة وتسعون قدحاً أو اثنتا عشرة كيله . أنظر جيرار : مرجع سبق ذكره ، صـ ٢٨٣ .

(٤٤) بخصوص إعفاء البن الشريف غالب من الرسوم ، تشير إحدى الوثائق العثمانية إلى أن الشريف غالب أرسل في نهاية عام ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م إلى الباب العالي يطلب إعفاء جمركي لستمائة فرق بن يقوم بإرسالها إلي مصر ، وفي رده على رسالة الشريف أوضح الصدر الأعظم للسلطان أن منح هذا الإعفاء للشريف سوف يؤثر بشكل كبير على حجم إيرادات الجمارك في مصر ، وأوصي بالموافقة على منح الشريف إعفاء جمركي لثلاثمائة فرق بن فقط ، وهو ما تم تطبيقه بالفعل ، ويبدو أن الشريف قد أوضح للفرنسيين ذلك في رسالته ، لذلك فقد تم إعفاء بن الشريف من دفع الرسوم الجمركية ، محمد عبد اللطيف هريدي ، شئون الحرمين الشريفين ، صـ١٢٦ .

(٤٥) محمد أنيس : الدولة العثمانية والمشرق العربي (١٥١٧ - ١٩١٤) ، الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥ ، صـ ١٢٧ .

(٤٦) بعث بونابرت رسالة إلي الإمام سلطان بن أحمد (١٧٩٢ - ١٨٠٤) سلطان عُمان وزنجبار يخبره فيها بفرض نفوذه على مصر ويطلب منه التعاون معه للقضاء على الوجود البريطاني في المنطقة ، إلا ان الرسالة وقعت في يد الوكيل البريطاني (ويلسون) في ميناء مخا اليمني الذي حولها بدوره إلي حاكم عام الهند ، حيث كان لذلك أثر كبير في سياسة الشركة تجاه عمان ، حيث أجبرت إمام عمان على طرد الفرنسيين الموجودين في مسقط ، كما أجبرته على التوقيع على اتفاقية لصداقة عام ١٧٩٨ ، تنص على عدم التعاون مع الفرنسيين أو استقبال سفنهم في مياه مسقط ، غانم محمد رميض العجيلي ، عُمان والسياسة البريطانية في شرق إفريقيا (١٨٠٦- ١٨٦٢) ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ٢٠١٣ ، صـ٥٤ .

(٤٧) السلطان تيبو حاكم مملكة ميسور الهندية ، تولي حكم ميسور بعد وفاة والده حيدر علي عام ١٧٨٢ ، ربطته علاقات قوية بالفرنسيين ، وقد ظل السلطان تيبو عدواً عنيداً طوال حياته لشركة الهند الشرقية البريطانية التي احتلت الهند واستولت على ثرواتها . ولكن شركة الهند الشرقية استطاعت من خلال التحالف مع أعداء السلطان تيبو مثل المارثا والهندوس في حيدر أباد أن تجبر السلطان تيبو على التوقيع على معاهدة سيرنجا باتام عام ١٧٨٩م ، التي كانت اعترافاً بالهيمنة البريطانية ، ورغم أن تيبو استطاع تحقيق العديد من الانتصارات على البريطانيين إلا انه لقي حتفه أمام قوات شركة النهد الشرقية

البريطانية المتحالفة مع حكام حيدر آباد في عام ١٧٩٩ .

(٤٨) هنري لورنس : الحملة الفرنسية في مصر والإسلام ، ترجمة بشير السباعي ، دار سيناء للنشر ، القاهرة/ ١٩٩٥ ، صـ ٢٨١ .

(٤٩) لا رينيون ، جزيرة في المحيط الهندي تقع إلي الشرقتمن مدغشقر ، على بعد حوالي ٢٠٠ كم (١٢٠ ميلاً) منتموريشيوس ، نجح الفرنسيون في احتلالها وطرد البرتغاليين منها منذ عام ١٦٣٨ ،

(50) Mordachai Abir: ؛Relation between the government of India and the Sharif of mecca during the French invasion of Egypt, Journal of Royal Asiatic Society, p. 40

(٥١) البارة : عملة فضية صغيرة كانت تساوى النصف فضة ، وكان القرش العثماني يساوى ٤٠ بارة ، والبارة تساوى أربعة أقجات وقد شاع استخدام البارة منذ أواخر القرن السابع عشر ، حيث حلت محل النصف فضة ، أنظر ، ليلى عبد اللطيف أحمد : الإدارة في مصر في العصر العثماني ، مطبعة جامعة عين شمس ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، صـ ٤٤٠ .

(٥٢) أحمد السباعي : تاريخ مكة ، مطابع دار قريش ، طـ ٣ ، مكة ، جـ ٢ ، صـ ١٢٧ .

(٥٣) محمد زكريا عناني : المرجع السابق ، صـ ٧٦ .

(٥٤) محمد زكريا عناني : المرجع السابق ، صـ ٧٨ .

(٥٥) لطف الله جحاف : المصدر السابق ، ص٩٧ .

(٥٦) دار الوثائق المصرية : سجلات محكمة القسمة العسكرية ، س ٢٢٤ ، صـ ٦٥٧ ، م ٢٢٥ . ؛ الدشت : س ٣٣٣ ، صـ ٣٩٩ ، م ٥٦٥ بتاريخ ١٢٠٦هـ / ١٧٩١م .

(٥٧) لويس بوركهات : جدة الدكاكين والميناء والعطور .

(٥٨) عن الدور الكبير الذي لعبه الحجازيون في مقاومة الفرنسيين في صعيد مصر يمكن مراجعة ، عبد الرحمن الرافعي ، الحركة القومية ، ج٢ ، صـ١٧٤ ؛ نبيل السيد الطوخي : المرجع السابق ، صـ ٢٨٤ .

(٥٩) كورييه دي لجيبت ، المصدر السابق ، صـ ١٢٠ .

(٦٠) ففي مقالته عن القصير والعبابدة يشير دي بوا ايميه إلي أنه خلال تواجده في القصير خلال الفترة منتصف مايو حتى بداية أغسطس دخل ميناء القصير من جدة وينبع خمسون سفينة كان منها تسع أو عشرة سفن ضخمة ، وصف مصر ، الجزء الثاني ، دي بوا ايميه ، القصير والعبابدة ، ترجمة زهير الشايب ، دار الشايب للنشر ، القاهرة ، ١٩٩٩ ، صـ٢٥٠ .

(٦١) يمكن مراجعة نص الخطاب في كتاب ، لطف الله جحاف : المصدر السابق ، صـ١١٢ .

(٦٢) نفس المصدر ، صـ ١٢٨ .

(٦٣) محمد عبد اللطيف هريدي ، شئون الحرمين الشريفين ، صـ ١١٨

(٦٤) المرجع السابق ، صـ ١١٩

(٦٥) محمد زكريا عناني : المرجع السابق ، صـ ٨١ .

(٦٦) محمد على الباز : عدن لؤلؤ اليمن ، الجزء الثالث عدن في العصر الحديث من الاحتلال البريطاني ١٨٣٩م إلي الاستقلال ١٩٦٧م ونتائجه ، دار كنوز المعرفة ، جدة ، ٢٠١٢ ، صـ ٣٣ .

(٦٧) كوربيه دي لجيبت : المرجع السابق ، صـ ٨٧ .

(٦٨) عبد الرحمن الجبرتي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، صـ ٢٧٢ .

(٦٩) بوسليج : أحد كبار الضباط الذين رافقوا الحملة إلى مصر ، وقد عهد إليه بونابرت بالإشراف على الشئون المالية للجيش ورئاسة الإدارة المدنية ، انظر : كريستوفر هورليد : المرجع السابق ، صـ ١٨٦ .

(٧٠) محمد فؤاد شكري : الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ٢٠١٣ ، صـ ٩٨ .